جامعة "أبو بكر بلقايد" تلمسان – كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار. مقياس ما قبل التاريخ: S 4

تنبيه: تمّ استغلال الصور من الكتب المتخصصة ومن الشبكة العنكبوتية

مسؤول المقياس: أ. د. سيدي محمد نقادي

عنوان المحاضرة: التقسيمات المعتمدة للعصور الحجرية

تمهيد:

الإنسان حيوان مستقيم، وحيوان اجتماعي، وحيوان عاقل. فهل كل حيوان يمشي على رجلين هو من فصيلة الآدميين؟ هل كل ما سماه علماء الآثار إنسانا هو بالضرورة من بني آدم؟

إ ن النتائج العلمية المتحصل عليها لم ترق إلى معارف يقينية.

الاعتقاد السائد:

كان الإنسان الأول قوي البنية، يكسوه شعر كثيف يحميه من تقلبات الجوية ولديه مهارة في تسلق الأشجار.

فإن صح ذلك لماذا بحث الإنسان الأول على أدوات تساعده في حياته اليومية؟ ألم تكفيه قوةَ بِنيته ومهاراته في القفز والتسلق من الدفاع عن نفسه، أو النجاة ممّن هم أقوى منه؟ إن مجرد التفكير في صنع أدوات تساعده في نشاطه اليومي وتحفظ حياته هي دليل قاطع على شعوره بضعفه في المحيط الطبيعي. وما بقاؤه إلا نتيجة استعمال ذكي لعقله. لقد تمكن بحسن استعمال عقله و مهاراته اليدوية من ابتكار أدوات ومواقف مكّنته من التكيف مع محيطه أولا، ثم بعد مجهودات عضلية وفكرية تمّ له تكييف الطبيعة لما يرغب فيه.

مفهوم الحضارة خلال العصور الحجرية:

لا يمكن – خلال العصور الحجرية – الكلام عن الحضارة بالمفهوم الخلدوني، ومن ثَمّ فأي المصطلحات أنسب لإدراك مضمون الواقع المعيش للإنسان الأوّل؟ هل نستعمل مصطلح الحضارة، أم الثقافة، أم الصناعة؟ أم هناك لفظ آخر؟

- الحضارة: تحمل مضمونا ماديا إذ يتعلق الإنتاج بما هو ملموس ومكمّم وله صلة بإجراءات وكفاءات الإنجاز.
- الثقافة: يحمل المصطلح مضمونا معنويا إذ يتعلق بما هو فكري ضمني، روحي (اللغة، الدين وطقوسه...)
- الصناعة: تحمل مضمونا عصريا إذ يتعلق الإنتاج بالعرض والطلب والنمطية... وهذا لا يتلاءم مع الحياة اليومية للإنسان الأول. فهو صانع أدواته بنفسه.

- وهناك من يستعمل مصطلح التقنيات، الذي يقبل التزاوج بين العمل اليدوي ومهارات الأداء

نظرا للحضور الواعي للإنسان في عصره ووسطه ونظرا لرغبته في تحديّ المواقف الحرجة و طموحه في تحسين ظروف عيشه يمكننا استعمال مصطلح الحضارة مع تحديد المضمون على أنه: مجموع الخبرات والمهارات المكتسبة من قِبل الإنسان الأول قصد القيام بنشاطه اليومي وضمان بقائه. وعليه فالحضارة بهذا المضمون لا تتعارض مع مفهوم البادية كما في المنظور الخلدوني إذ لا وجود لظاهرة الاستقرار.

التسمية:

مما لا شك فيه أ ن الإنسان الأول استعمل كل المواد الطبيعية التي رأى فيها نجاعة في استخدامها. ومن المؤكدّ أنه استعمل الخشب وعظام الحيوانات و قرونها وعاجها كما استخدم أيضا الأصداف. فالمنطق يحتم استخدامها من قِبل الإنسان وإن لم تبق لنا أدلة قاطعة عن ذلك لتلفها عبر الزمن.

أما الأدوات الحجرية فقد تحدَّ ت الز من وهي متوفرة بكميات كبيرة وهو الأمر الذي فرض تسمية هذه لعصور بها. ومن ناحية أخرى تمكن علماء الآثار بواسطتها من تحديد مراحل تطور الإنسان الأول من خلال طرق إنجازه لأدواته و وظائفها وذلك ما نوضحه في أوانه.

تقسيمات العصور الحجرية:

وجد علماء الآثار صعوبة أخرى في تحديد فترات عصور ما قبل التاريخ ومنشأ هذه الصعوبة يكمن في نقطتين:

1- اختلاف المناخ حسب العروض، إضافة إلى نتائج الظاهرة الجليدية (يختلف المناخ بين أوربا وإفريقيا)

2- الانتشار النسبي البطيء للإنسان على سطح الأرض (لم تعمر أوربا إلا بعد تحكم الإنسان في النار).

وعليه لا يمكن تطبيق توقيت موحّد على جميع مناطق العالم كما لا يمكن تفسير التخلف عن ركب الإنسانية بعجز لدا الإنسان في حد ذاته.

التقسيم المصطلح عليه:

- العصر الحجري القديم: به ثلاث فترات هي: الأسفل، الأوسط، الأعلى . **Paléolithique**

-العصر الحجري المتوسط **Mésolithique**

العصر الحجري الحديث **Néolithique**

خلال هذه الفترات المتفاوتة من حيث المدّة، تم لعلماء الآثار الوقوف عند المهارات المكتسبة من قِبل الإنسان الأول في إنجازه للحجارة. لقد مرّ الأداء عبر مراحل عديدة من الحجارة المشظاة إلى النواة ثمّ الفأس اليدوي إلى رؤوس الحراب والسهام إلى الحجارة المصقولة. كما صغرت الأحجام: من الحجارة الخام إلى الحجارة القزمية.

نشير إلى أن أسماء تقنيات الإنجاز هي في أغلبيتها تعرف بأسماء فرنسية وذلك يعود بالدرجة الأولى للنشاط المكثف لعلماء الآثار الفرنسيين.

ننبه أيضا إلى طول مدّة العصر الحجري القديم الأسفل مقارنة بالفترات الحجرية الأخرى، إذ قدّرت الفترة الزمنية بما يزيد عن مليوني سنة، وذلك لتباطؤ حركة الاكتشافات لدى الإنسان الأوّل.

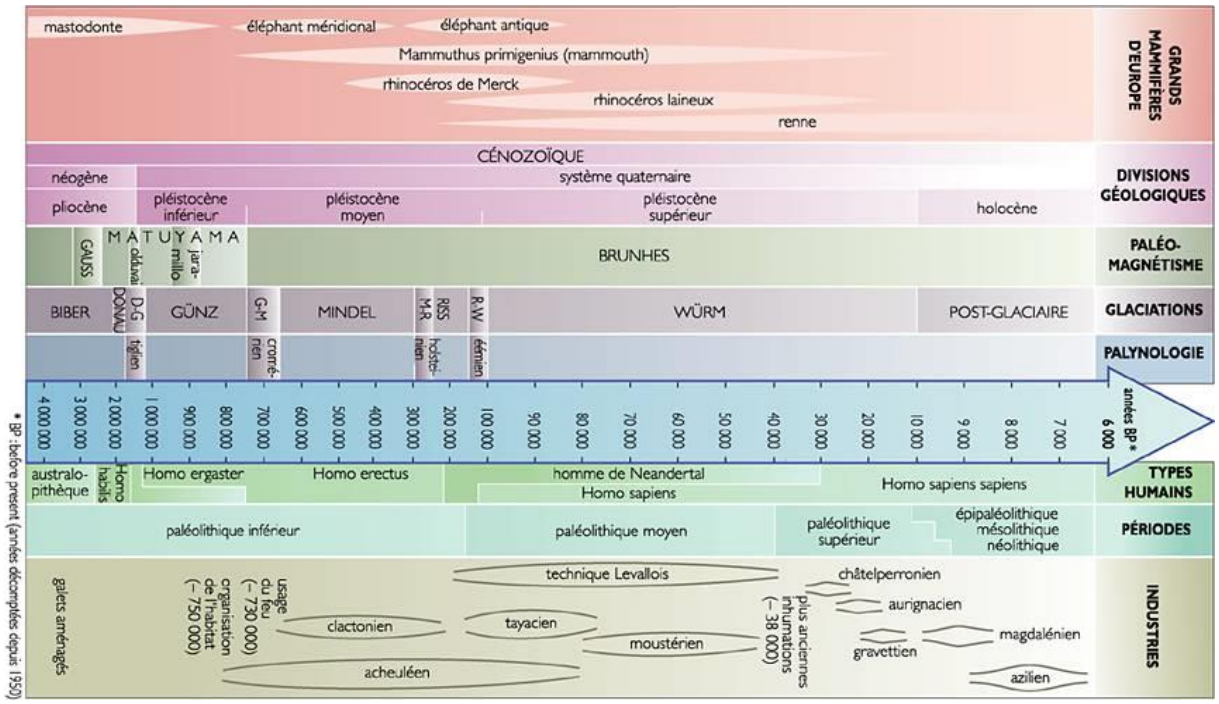

تقسيمات العصور الحجرية